تطبيقات نظرية "ما بعد الاستعمار" في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"

د. سعاد عبد الله العنزي
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية
جامعة الكويت

الملخص

رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح من أكثر الروايات العربية التي حظيت بالنقد والتحليل والقراءات النقدية الغربية والشرقية لما لها من إمكانيات نصية تعالج عدة مواضيع ذات أهمية كبيرة في التماس مع الإشكاليات السياسية والسوسيو- ثقافية المتحكمة في الوطن العربي إلى اليوم. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الرواية وفق مفاهيم نظرية "ما بعد الاستعمار" وصورة كل من المستعمِر والمستعمَر في الرواية، وعرض كيف رأى كل منهما الآخر وفق مفهوم 'الاستشراق' للناقد الفلسطيني الأمريكي إدوارد سعيد، و'الاستغراب' بوصفه الاستشراق معكوسا مقدما من وجهة نظر عربية. تبحث هذه الدراسة في أثر الثقافة الغربية على شخصيات الرواية مثل: مصطفى سعيد، والسارد، وحسنة بنت محمود بالاستناد على مفهوم 'الهجنة' للمفكر الهندي الإنجليزي هومي بابا لما له من قدرة على تحليل الحالة البينية التي تعيشها الشخصيات في الرواية. ستبدأ هذه الدراسة بعرض مقدمة تاريخية عامة لتشكل النظرية، وأهم مفاهيم نظرية "ما بعد الاستعمار" التي طرحها مؤسسو النظرية. من ثم سيتلو هذا الجزء مقارنة بين الرواية، ورواية جوزيف كونراد "قلب الظلام". أما الجزء اللاحق فسيكون تحليل شخصيات الرواية وفق مفاهيم 'الاستشراق' و 'الاستغراب'، و 'الهجنة'. يهتم الجزء الأخير من الدراسة ببحث علاقة نظرية "ما بعد الاستعمار" و "النظرية النقدية النسوية" من خلال تسليط الضوء على شخصية حسنة بنت محمود ومعاناتها مع القوى البطريركية في المجتمع السوداني التقليدي.

الكلمات الدالة:

نظرية "ما بعد الاستعمار"، الطيب صالح، إدوارد سعيد، هومي بابا، الاستشراق، الهجنة، المستعمِر والمستعمَر.

الكلمات المفتاحية:

الألم - السرد الذاتي - السيرة النسائية - آليات سردية – الاعتراف

Abstract

Tayeb Salih's novel Season *of Immigration to the North* is one of the most Arabic novels which have been reviewed by critical and analytical articles because of its textual abilities. The novel approaches many topics touching problematic political and socio-cultural issues that have controlled the Arab World until today. This study aims to analyze the novel according to the concepts of "Post-Colonial Theory", and the images of colonizer and colonized and viewing how each of them seeing each other depending on American Palestinian critic Edward Said's approach of *Orientalism*. In addition to that, this study searches the influence of Western culture on the novel characters like: Mostafa Said, the narrator, and Hosna bent Mahmoud benefiting from Homi Bhabha's concept of 'Hybridity'. The present study starts first with a historical introduction of "post-Colonial Theory" and its important concepts. Then, a comparison between the novel and Joseph Conrad's novel *Heart of Darkness* takes place. After that, the concepts of 'Orientalism', 'Occidentalism', and 'hybridity' are considered as my framework to analyze the novel's characters. In the final part, I link between Post-colonial theory and Feminism third movement's efforts by analyzing Sudanese woman identity through showing the violent reaction of Hosna bent Mahmoud.

Key Words:

Post-Colonial Theory, Tayeb Salih, Edward Said, Homi Bhabha, Orientalism, Hybridity, Colonizer, and Colonized

تطبيقات نظرية "ما بعد الاستعمار" في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح: "الاستغراب" و"الهجنة" أنموذجا

مقدمة:

تعتبر رواية الروائي السوداني الطيب صالح "موسم الهجرة إلى الشمال" واحدة من أكثر الروايات إثارة للجدل. فهي رواية إشكالية، بسبب أنها حمّالة، أوجه وتقبل قراءات وتأويلات متعددة، لأنها تناقش قضايا متعددة مثل النسوية، والهجرة، ونظرية الاستعمار، وما بعد الاستعمار، والتفاصيل المكانية والزمانية للمجتمع السوداني في تلك الحقبة وغيرها من القضايا.

هدف هذه الدراسة هو البحث عن أبعاد نظرية "ما بعد الاستعمار" (Post-Colonial theory) في هذه الرواية من حيث أهميتها في تناول أبعاد متعددة في الدراسات ما بعد الاستعمارية، وهي الرواية التي تمت مقاربتها من قِبل عدد من الباحثين الذين أقروا بأهمية هذه الرواية في حقل دراسات "ما بعد الاستعمار" عن طريق مسح إحصائي تقريبي لأهم الدراسات النقدية التي تناولت رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"، نجدها بوصفها نصا من النصوص المهمة في الرواية العربية والعالمية، حصلت على عدد كبير من القراءات النقدية؛ بل إنني لا أبالغ عند القول أنها من النصوص التي تُدرس شرقًا وغربًا بشكل موسع في دراسات نظرية "ما بعد الاستعمار" في كثير من الفصول والمقررات الجامعية التي تهتم بدراسات الهوية.

حظيت الرواية شأنها شأن أي نص مفتوح قابل للقراءات المختلفة وفق رؤى ومنهجيات شتى. فهي كما يصفها خيري دومة: "إنها – شأن كل عمل فني كبير- تعكس واقعًا محددًا وتجيب عن أسئلة، في الوقت الذي تحافظ فيه على غموضها مُنتِجًا، وعلى أسئلتها معلقة مفتوحة".[١]

لعل أشهر الدراسات النقدية للرواية هي دراسة جورج طرابيشي "شرق وغرب، رجولة وأنوثة: دراسات في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية"[٢]، وقراءة يمنى العيد التي تحمل عنوان "تملّك الوطن ومعادلة الجنس والحضارة (معاناة في التاريخ في رواية موسم الهجرة إلى الشمال)"[٣]، وسيزا قاسم "تجربة نقدية، موسم الهجرة إلى الشمال".[٤]

في قراءة لافتة تقع تحت مظلة "نقد النقد"، لهاشم ميرغني بعنوان "الطيب صالح وإشكاليات الخطاب النقدي"[٥]، يقدم الباحث فكرة مهمة تتبناها هذه الدراسة بشكل كبير، وهي أن رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" حظيت بقراءات عديدة، ولكنها تبدو في جزء كبير منها قراءات متشابهة وغير متنوعة. كما يوضح الباحث مجموعة من المآخذ على القراءات النقدية مثل تقليديتها وتشابهها وارتكازها على سيرة الطيب صالح بدلا من نصه، بالإضافة إلى تكرار المقولات الجاهزة واستهلاكها دون استثمار حقيقي للمفاهيم النقدية في قراءة النص. كما تشير الدراسة القصيرة إلى أن أغلب القراءات النقدية للرواية اتسمت بالطابع الأحادي مثل التركيز على جدلية علاقة الشرق والغرب، أو العلاقة بين التخييل والواقع في الرواية مما يقلل من فرصة استثمار أبعاد الرواية في قراءات متعددة تفتح الأفق أمام قراء الأدب. ويستشهد ميرغني بدراسة الناقد المصري رجاء النقاش للرواية إذ يعدها من الدراسات الموجهة للتلقي العربي للعمل وانعكست رؤاها في قراءات الآخرين اللاحقة للرواية. كتب رجاء النقاش في مقال نقدي عن الطيب صالح بعنوان: "الطيب صالح.. عبقرية روائية جديدة" متزامنا مع بدايات انتشار الرواية

يصفه فيه بأنه عبقري الرواية العربية، ويبين ميرغني كيف أن هذا المقال رسم طبيعة القراءات النقدية لها وخلق نوعا من القراءات الأحادية مثلما يوضح ميرغني: "ولكن الإشكال أن قراءة رجاء النقاش للطيب صالح مارست تأثيرا طاغيا على كل من أتى بعده، حتى أن حزمة الروايات التي ذكرها باعتبارها تتحدث عن نفس هموم موسم الهجرة إلى الشمال، وهي "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، و"قنديل أم هاشم" ليحيى حقي، و"الحي اللاتيني" لسهيل إدريس، صارت تنتقل من دراسة إلى أخرى، بحيث صرنا نتوقعها آليا في أي دراسة عن الطيب صالح".[٦] وما يذكره الباحث لا يجانب الصواب فيما يخص القراءات التي تأثرت بدراسة النقاش، فكثير من هذه القراءات وقعت أسيرة لهذه التفاصيل ولم تتحرر منها أو تتوسع فيها من خلال تقديم مقارنة نقدية موسعة بين "موسم الهجرة إلى الشمال" وأي من الأعمال سالفة الذكر بشكل موسع. بينما هناك دراسات أخرى استطاعت أن تخلق مسار قراءاتها المتنوعة وفقا لما تتيحه الرواية من إمكانيات نصية متعددة.

يستثني ميرغني إحدى القراءات اللافتة للرواية في محاولتها الابتعاد عن مجال اشتغال الدراسات السابقة، وهي قراءة رجاء نعمة للعمل في كتابها "صراع المقهور مع السلطة" ويصف القراءة بقوله: "وهي إحدى القراءات التي تمثل مخرجًا من مأزق النقد من ناحية، ومن ناحية تدلُّ على أن القراءة الداخلية الأمينة للنص Close Reading يمكن لها أن تكشف عن الدلالات الغافية في حضن النص، وتكشف الشبكات المعقدة التي لا يكف النص عن نسجها".[٧] رغم أن وجهة نظر ميرغني تبدو مناسبة ليس لوصف بعض القراءات التقليدية لرواية "موسم الهجرة إلى الشمال" وحسب؛ بل حال القراءات النقدية العربية بشكل عام لكثير من الأعمال الأدبية العربية كذلك، لكن هذا لا يعني أن الرواية لم تحظَ بكثير من القراءات المتعددة وهذا بسبب أهمية النص وانتشاره واسع المدى في العالم الأكاديمي الشرقي والغربي. وفي هذه الدراسة إشارات لدراسات كثيرة لباحثين شرقيين وغربيين قاربت النص باتجاهات نقدية متنوعة.

قدّم الناقد محمد شاهين، على سبيل المثال لا الحصر، دراستين مهمتين للرواية، الأولى تتألف من كتاب كامل بعنوان: "تحولات الشوق في موسم الهجرة إلى الشمال"[٨] درس فيها الرواية بشكل موسع، مع القيام بمقارنات بين الرواية والأعمال التي أثرت فيها مثل رواية "قلب الظلام" لجوزيف كونراد ورواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم. أما الدراسة الثانية فهي دراسة قصيرة بعنوان: '"موسم الهجرة إلى الشمال، دائرة السر الأسطوري وما بعدها" ضمن مجموعة من المقالات النقدية في كتاب تحت عنوان: "آفاق الرواية: البنية والمؤثرات" وهي القراءة التي يبحث فيها عن مؤثرات اللاوعي الجمعي على بطل الرواية الذي يسافر بذاكرة محمّلة بإرث الاستعمار الطويل، ومن ثم يحاول شاهين فك سر انجذاب المتلقي للرواية فيقول: "سر كل هذا الإقبال على موسم الهجرة إلى الشمال، ربما يعود إلى المزاوجة بين سحر الفن القصصي التقليدي، وسر الشخصية القصصية في فن الرواية الحديث".[٩] وفق ثنائية سحر السرد التقليدي وسر الشخصية يتنقل الباحث في تفاصيل الرواية ليبين أن جمالية تلقي الرواية تكمن في هذين العاملين.

ومن القراءات المتنوعة في طرحها، قراءة كلثوم مدقن "دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال" التي تستعرض أهم النقاد الغربيين المهتمين بعنصر المكان في فضاء النص

الروائي مثل جورج بولي، وجلير دوران، ويوري لوتمان، وهنري متران، وغاستون باشلار، من ثم تستثمر الباحثة في دلالات الأمكنة وأنواعها في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"، موضحة أن من أهم ما يميز الرواية عن غيرها من الأعمال التي طرحت موضوعا مشابها هو المكان، مثلما تبين: "وأوضح لنا "العنوان" أن موسم الهجرة كان من الجنوب إلى الشمال، ومنه استنبطنا جملة الدلالات المكانية داخل الرواية، وبقي رمزا محافظا على أحداث الرواية، ولولاه لكان النص عرضة للذوبان في نصوص أخرى، خاصة أن الموضوع طرح عند روائيين آخرين".[١٠]

وفي سبيل البحث عن قراءات تهتم بتطبيقات مفاهيم نظرية "ما بعد الاستعمار" في الرواية، مدار الاشتغال في هذا البحث، فإن خيري دومة يقدم بدراسته "عدوى الرحيل: موسم الهجرة إلى الشمال ونظرية ما بعد الاستعمار"، محاولة لافتة في قراءة الرواية على ضوء مفاهيم نظرية "ما بعد الاستعمار". وبعد أن يقدم أهم المفاهيم الخاصة بالنظرية ولمحة تاريخية موجزة عن نشأة النظرية وأهم منظريها، يدخل دومة في تحليل عالم النص. وقد قام دومة بدراسة مسحية لقراءات عربية وغربية درست الرواية، وقدّم رؤى قيمة مثل تحليله لشخصيتي مصطفى سعيد والسارد الهجينيتين.

ستبدأ هذه الدراسة، أولا، بمقدمة مختصرة للأطر المعرفية لنظرية "ما بعد الاستعمار" مثل مقاربة الناقد الفلسطيني الأمريكي إدوارد سعيد (٢٠٠٣) لـ"الاستشراق" ومفهوم "الهجنة" للمفكر البريطاني من أصول هندية هومي بابا. لاحقا، سنستعرض أفكار نظرية "ما بعد الاستعمار" من خلال الروايات العربية وعلى وجه الخصوص رواية الطيب صالح موضوع هذه الدراسة وعلاقتها برواية "قلب الظلام" للكاتب البولندي الإنجليزي جوزيف كونراد. ثم تتناول الدراسة تحليل شخصيتين من رواية "موسم الهجرة إلى الشمال": مصطفى سعيد والسارد على ضوء مفاهيم "الاستغراب" و"الهجنة". يلي ذلك تحليل سبب ردة فعل حسنة بنت محمود العنيف في ضوء تأثرها بروح التغيير من خلال عدوى زوجها الثوري الهجين، مصطفى سعيد.

٢. نظرية ما بعد الاستعمار: مقدمة نظرية

نقطة الانطلاق في هذه الورقة البحثية هي تقديم مفاهيم نظرية "ما بعد الاستعمار" من خلال أهم المنظرين الذين أسسوا دراسات نظرية "ما بعد الاستعمار" التي كانت النبع الأساسي لأي مقاربة لهوية ما بعد الاستعمار. في الواقع، نظرية "ما بعد الاستعمار" التي ظهرت فيما بين عامي ١٩٨٠م و١٩٩٠م، تهتم بقراءة أثر الاستعمار على كلٍّ من الشعوب المستعمِرة والمستعمَرة. أُسست النظرية من قِبل مفكرين مستنيرين من بلاد العالم الثالث من الهنود والعرب وغيرهم من الشعوب المستعمَرة مثل الناقد الأمريكي الفلسطيني إدوارد سعيد، والطبيب النفسي والمفكر الاجتماعي الكاريبي فرانز فانون (١٩٦١ م)، والمفكر الهندي هومي بابا، والمفكرة الهندية سبيفاك. وقد حاول هؤلاء مساءلة الحقبة الاستعمارية واستكشاف النتائج التي ظهرت في حياة الشعوب النامية وثقافتها بعد الاستعمار. تهتم النظرية في الحقيقة بأثر الاستعمار في مرحلة الاستعمار وما بعد الاستقلال وتميّز بين مصطلحي "ما بعد الاستعمار" و"ما بعد الاستقلال" أيضًا، لأن الأول بوصفه مصطلحا أعمق وأشمل من مفهوم ما بعد الاستقلال كما توضح آمال علاوشيش حين قالت: "لا يمكن عد مرحلة ما بعد الاستعمار رديفا لما بعد الاستقلال، باعتبار

أنها لم تحرز غير استقلال سياسي من خلال إنشاء هيكل الدولة، ولم تتخلص من متعلقات الاستعمار على جل الأصعدة (الاقتصاد، الثقافة، اللغة...)".[١١]

قبل كل شيء، علينا أن نقف عند أعمال المفكر الفرنسي-الكاريبي فرانز فانون، بوصفه واحدا من الكتاب الأساسيين الذين بدأوا الكتابة عنها في مرحلة مبكرة، وأسسوا لمفاهيم نظرية "ما بعد الاستعمار" من خلال دراستهم للجانب السيكولوجي للقوى الاستعمارية التي أثرت على المستعمرات. مثلما يوضح خيري دومة في دراسته القيمة "عدوى الرحيل"، أن جهود فانون -في هذا الحقل- تقسّم النظريةَ إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى: هي مرحلة الهوية السوداء، المرحلة الثانية: القتال ضد الاستعمار، والمرحلة الثالثة: العمل على توضيح آثار الاستعمار.[١٢]

في موضوع الهوية السوداء، كتب فانون كتابه ذا العنوان اللافت والمحمّل بدلالات مجازية عديدة: "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء"[١٣] ليحلل النظرية السياسية للاستعمار باستخدام التحليل النفسي. في هذا الكتاب، يرى فانون أنه عندما قام الاستعمار بالترويج للبشرة البيضاء خلق هذا إحساسا عميقا بالتقسيم العنصري والاغتراب في هوية الشعوب المستعمَرة. على سبيل المثال، في فترة الاستعمار الحديث، كان تاريخ وثقافة ولغة وعادات المستعمِر تعد ثقافة فوقية وأساسية وعالمية في العالم، قادت إلى خلق إحساس عارم بالدونية في ذات المستعمَر. وفقا لفانون، فإن هذا قاد المستعمَر لأن يحاكي ثقافة الفوقي ليعوض عقدة النقص كما يقول فرانز فانون:

> النظرة التي يلقيها المستعمر على مدينة المستعمر هي نظرة شهوة، هي نظرة حسد. ما من مستعمَر إلا ويحلم مرة في اليوم على الأقل، أن يأخذ مكان المستعمِر.[١٤]

أما هومي بابا بدوره فيتطرق لنفس التحليل السابق لعلاقة المستعمِر والمستعمَر بأن المستعمَر يُعجَب بالمستعمِر ويقلده في زيه وأكله وتعليمه، ولكن ما أن ينظر إلى المرآة حتى يدرك أنه آخرٌ مختلف عنه. نجد هنا أن فكرة المرآة تشبه "حالة المرآة" عند لاكان، إذ يبدأ المستعمَر بالتعرف على نفسه منفصلا عن المستعمِر، ومحققا مفهوما للأنا يغاير الآخر. ويقف بابا عند هذا التصور للعلاقة ذات التناقض الوجداني التي تجمع بين الاثنين ويحللها بشكل أعمق، إذ يراها رغبةً فيه ونفورًا منه بالوقت نفسه، مما يجعل فعل المحاكاة فعلا مقاوما. إلا أن بابا يطور هذا المفهوم من خلال مفهوم "الفضاء الثالث" الذي سنتطرق له لاحقا.

المفكر الثاني الذي يمكن أن يُنظر إليه بوصفه حجر الزاوية لهذه النظرية هو الناقد الفلسطيني الأمريكي، إدوارد سعيد الذي وضع كتابه المؤثر "الاستشراق". الذي يوضح الهدف منه في مقدمته: "ولقد استطعت أن أستخدم اهتماماتي الإنسانية والسياسية لتحليل قضية دنيوية جدا ووصفها، وهي بزوغ الاستشراق، وتطوره وتثبيته لمواقعه".[١٥] إنه يشرح "الاستشراق" بوصفه طريقة للتعامل مع الشرق تقف على موقف خاصٍ في تجربة الغرب. لهذا، فإن الشرق ليس مجرد مكان يقع على حدود أوربا، بل هو أغنى وأقدم مكان في أغلب المستعمرات الأوربية. بالإضافة إلى هذا هو مصدر حضارتها، لغتها وثقافتها، إنه الجانب الآخر للغرب. وفق هذا الفهم، يرى سعيد الشرق باعتباره مكمّلا للغرب. في الحقيقة، من الممكن أن نفهم أن الأطروحة المهمة والكاملة للكتاب هي أن الغرب بنى تصوراته حول الشرق بطريقة تختلف عن الوجود الحقيقي

للشرق. من المهم توضيح أن سعيد استفاد في أطروحته هذه من الأفكار الأساسية لكل من الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو، والفيلسوف والمناضل الماركسي الإيطالي أنطونيو جرامشي. إذ أخذ من فوكو مفهوم "السلطة والمعرفة" الذي طبقه على الكتاب بشكل كامل، وهو الأمر الذي يقال إنه أضاف أهمية خاصة لكتاب "الاستشراق" من جانب، ونظرية فوكو في "السلطة والمعرفة" لأن دراسة سعيد في "الاستشراق" تعد واحدة من أقوى تجليات مفهوم فوكو. يقول سعيد مبينا استخدامه لمفهوم فوكو عن "السلطة والمعرفة": "ومن هنا فإن سلسلة المعرفة والقوة التي تخلق "الشرقي"، وبمعنى ما، تلغيه ككائن إنساني، ليست بالنسبة لي قضية جامعية حصرا".[١٦]

أما فيما يخص جرامشي، فقد استفاد منه سعيد في مفهوم "المثقف العضوي"، الذي يطرح فيه صورة المثقف الذي يرتبط بالمجتمع بدلا من المثقف التقليدي الإداري. ومن أهم المفاهيم الثقافية التي قدمها هو مفهوم المثقف الحقيقي، الذي أتى لدراسة الجانب العملي من تطبيقات الثقافة والمعرفة العملية في الحياة الاجتماعية، وأتى كرد على بعض انحرافات الممارسات الثقافية للمثقفين. كان سعيد مهتما في نقد دور المثقف الذي يجب أن يقوم به في الحياة الاجتماعية والأكاديمية والسياسية بوصفه مثقفا ثوريا وقدم نفسه على أنه مثقف معارض. وقد أصّل لمفهوم المثقف إذ حوّله من الشخص المتعلم ليشمل مجموعة المثقفين الذين يستخدمون معرفتهم لخدمة المؤسسات السياسية، والذين يقفون معزولين عن هموم ومعاناة المقهورين. طرح سعيد مفهومه عن المثقف وهو متأثر بشكل لا مراء فيه بجرامشي الذي يرى: "أن كل الناس مثقفون، لكن ليس عليهم جميعًا أن يؤدوا وظيفة المثقفين في المجتمع".[١٧] يتميز هذا التحليل الاجتماعي للمثقف عند جرامشي كإنسان ينجز مجموعة معينة من الوظائف في المجتمع، بالواقعية أكثر من تلك الصفات التي حددها جوليان بندا للمثقفين في كتابه الشهير "خيانة المثقفين".

بالعودة إلى الكتاب الرئيسي "الاستشراق"، فإن سعيد ينطلق في "الاستشراق"، من بُعدٍ شخصي عبر الكتاب كما يوضح:

> معظم رصيدي الشخصي الذي استثمره في هذه الدراسة مستمد من وعيي بأنني "شرقي" باعتبار أنني نشأت طفلا في مستعمرتين بريطانيتين، أما تعليمي، في هاتين المستعمرتين (فلسطين ومصر) وفي الولايات المتحدة، فقد كان كله غربيا، ومع ذلك فإن ذلك الوعي المبكر العميق ظل قائما.[١٨]

اكتشف سعيد بتجربته، المدفوعة بعوامل ذاتية، هذه المفاهيم المغلوطة التي صاغها المستعمِر حول الثقافة الشرقية، وكيف حول هذه الأفكار التخيلية لكي تصبح قابلة للتصديق. وهو بنفسه يدرك أنه ليس أول من أصّل لفكرة الاستشراق في كتابه "تعقيبات على الاستشراق"،[١٩] ولقد ذكر عددا من الكتّاب الذين غطوا أفكار المستشرقين بدراساتهم مثل المفكرة والناقدة الأدبية والنسوية الهندية غاياتري شاكرافورتي سبيفاك حيث سكّت مفهوم "التابع" في مقالتها الهامة "هل يستطيع التابع أن يتحدث؟"، وفرانز فانون وعبدالله العروي، وأنور عبدالملك، وآخرين.[٢٠] إن الأمر الأصيل فيما يخص إسهام سعيد في رأيي هو أنه يجمع مقاربات متنوعة للمستشرقين ويحلل بعمق مفهوم الآخر، وكيف تم بناء صورة الشرق في المخيلة الغربية، واستخدامه لمفهومي "السلطة

والمعرفة" و"المثقف العضوي" سالفي الذكر. بالإضافة إلى هذا، طور سعيد إسهاماتهم وصاغ هذه الجهود في حقل الاستشراق والمستشرقين. باختصار مثلما تقول علاوشيش: "إن موقف سعيد من خلال كتاباته يوحي بوضوح أن مبادئ الغرب هي في حقيقة الأمر مبادئ أيديولوجية وليست كونية، ولهذا ليس من حق أي حضارة أن تُدين أخرى مهما بلغ شأنها".[٢١]

والحديث عن "الاستشراق" يقودنا إلى الحديث عن نقيضه "الاستغراب"، الذي أشار إليه سعيد بنهاية كتابه إشارة بسيطة. وقد طرح المصطلح المفكر المصري حسن حنفي، ويقصد به العلم الذي يدرس علوم الغرب ومعارفه بطريقة تبتعد عن تقديم الصور النمطية الجاهزة السلبية التي وقع فيها المستشرقون في الماضي، وتخلق فرصة للحوار بين الثقافات والأديان، وتصحيح الصور المغلوطة عند الطرفين. وسوف يتم تحليل الشخصيات في الرواية بناء على تبني وجهات نظر شرقية للغرب وفق النظرة الكلاسيكية التقليدية مثل موقف السارد، ومصطفى سعيد من الحضارة الغربية.

على كل حال، السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو متى ظهر مصطلح نظرية "ما بعد الاستعمار" ومتى تمت صياغته لأول مرة؟. تاريخيا، أول مرة ظهر فيها مفهوم "ما بعد الاستعمار" جاء عندما استخدم مؤلفو كتاب " الإمبراطورية ترد بالكتابة"[٢٢] هذا المفهوم ليغطوا كل الثقافات التي تأثرت بعمليات الإمبريالية حتى هذه الأيام المعاصرة. كما يوضح مؤلفو الكتاب: "غير أننا نستخدم مصطلح "ما بعد استعماري" هنا، لنغطي كل الثقافات التي تأثرت بالعملية الإمبريالية من لحظة الاستعمار إلى هذا اليوم؛ ذلك أن هناك خطًا متصلاً من الاهتمامات على مدار العملية التاريخية التي بدأها العدوان الإمبريالي الغربي".[٢٣] لهذا، فإن خبرة الاستعمار كانت الدائرة المهمة التي أضاءها كتاب نظرية "ما بعد الاستعمار". ينشغلُ كلٌّ من الباحثين المنتمين للدول المستعمَرة أو الدول المستعمِرة بتوضيح تأثيرات الاستعمار على كل من الجانبين: الدول الأوربية والشعوب المستعمَرة الشرقية. من حيث الشعوب المستعمَرة، عانت شعوبها بشكل كبير من تشظي هوياتهم في مقابل هوية الآخر المستعمِر الثابتة. وعلى النقيض من ذلك، سقط بعض الكتّاب والفنانين الأوربيين تحت تأثير هذا الفعل الاستعماري، وأعادوا اكتشاف أنفسهم تحت وطأة هذه التجربة التي أعطتهم فرصة لأن يفهموا أنفسهم في مرآة الآخرين.[٢٤]

بقدر ما تكون تطورات النظرية مهمة، من المهم أن أوضح أحد أكثر المفاهيم أهمية والذي ينبثق من الدراسات الممتدة لنظرية "ما بعد الاستعمار"، وهو مفهوم "الهجنة" Hybridity والهوية الهجينة Hybrid Identity. ظهر هذا المصطلح مع دراسات إدوارد سعيد لا سيما في كتابه بالغ الأهمية "الثقافة والإمبريالية"[٢٥] وأعمال هومي بابا؛ لكنه ينتمي إلى بابا أكثر من أي مفكر آخر. ويرى سعيد وبابا، كباحثين مهاجرين، أنفسهما فيما بين ثقافتين، وانتمائين، ثقافة بلد المنشأ وثقافة البلد المضيف، وفي الوقت نفسه ينتميان إلى الفضاءين الثقافيين دون أن يهيمن أحدهما على الآخر، إلخ. على سبيل المثال، يصفُ سعيد المنفى في العديد من كتبه مثل "الثقافة والإمبريالية" و"صور المثقف"، على أنه جوهر المفكر، وأنه وجوده الحقيقي الذي يرفض أن يتجاهله أو يعيش فيه. هو في وضعية بحث دائم عن الهوية دون استقرار.[٢٦] وفي معرض تناوله للعلاقة بين المثقف والمنفى، يعتبر سعيد قضية المنفى بالنسبة للمثقف قضية إيجابية، ظنًّا منه أنه

يضع مسافة بين الذات وأي انتماء ضيق للأيديولوجيات التي من الممكن أن تمنع المثقفين من ملاحظة -وبالتالي الحكم- على القضايا بشكل موضوعي.

يوضح بابا بشكل جدلي هذا النوع من الهجنة بجلاء، وقد درس المفهوم بشكل موسع مع ما له من إيحاءات من خلال تقويض المفهوم الرومانسي للوطنية، وجذوره العميقة مع الإمبريالية القديمة. كانت الهوية في فترة سابقة للحركات التحررية من الاستعمار، تُعرف على أساس قومي وانتماء واحد أصيل، بينما في مرحلة ما بعد الاستعمار، ظهرت حركات الهجرة لمثقفي الشعوب المستعمَرة إلى العالم الغربي، مما خلق تفاعلا بين الثقافتين أنتج لدينا هذا الموقع البيني بين الثقافتين. يحاول بابا هنا أن يضيّق الحقل لقبول هذه الهجنة الخليطة، والانتماءات المتعددة لتجمع معا وتبني مفهوما فريدا جديدا للهوية، الفضاء الثالث "Third space"، الذي وفقا لبابا، "هو موقع مزدوج حيث يكون المعنى الثقافي والتمثيل ليس لديهما "وحدة بدائية أو ثبات".[٢٧]

٣. تقاطع رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" ورواية "قلب الظلام":

فيما يخص علاقة رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" بالروايات الغربية ذات الموضوع المشابه، فثمة وشائج وثيقة بينها وبين رواية جوزيف كونراد "قلب الظلام". صدرت رواية صالح في منتصف ستينيات القرن الماضي مما يعني أنها ظهرت قبل حركة ونشاط نظرية "ما بعد الاستعمار" إلا أنّ هناك علاقة وثيقة بينهما. تعد الرواية، مثل رواية الروائي الإنكليزي من أصل بولندي جوزيف كونراد "قلب الظلام" التي نُشرت عام ١٨٩٩ م،[٢٨] محاولتين كاشفتين لقسمات أساسية للنظرية بالطريقة التي تعتمد فيها على إمكانيات السرد لتمثيل صورة مركبة للمؤثرات غير الواعية التي تركتها المرحلة الاستعمارية في كل من المستعمِر والمستعمَر. تعد الروايتان من النصوص التمهيدية لنظرية ما بعد الاستعمار.[٢٩] تتقاطع رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" بشكل كبير مع رواية "قلب الظلام" للكاتب الإنجليزي-البولندي جوزيف كونراد، الصادرة إبان مرحلة الاستعمار الإنجليزي لدول العالم الثالث، وتحديدا أفريقيا، تلك القارة السوداء التي كانت فضاء خصبا لرصد الاختلافات بين القارة الأوربية البيضاء، والقارة الأفريقية السوداء؛ بين الأبيض والأسود، والمتطور والمتخلف، المتعلم والجاهل وغيرها من القضايا.

وأثرُ رواية كونراد على الطيب صالح يؤكده صالح بنفسه في أحد أحاديثه، فقد صرّح في محاضرة في الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٨٠م أن رواية "قلب الظلام" كانت من النصوص التي أثرت في روايته.[٣٠] وهذا التشابه بين العملين لفت نظر الكثير من الباحثين في الغرب والعالم العربي. وهو الأمر الذي التفت إليه أيضا إدوارد سعيد، وغني عن الذكر أن بحث سعيد في مرحلة الدكتوراه كان عن "الرواية وفنّ السيرة الذاتية عند جوزيف كونراد"، إذ يقول إن من أهداف الطيب صالح الأولية في هذه الرواية هو أن يستدعي الإقليم التخييلي وبالتالي يوضح بعضًا من التناقضات ونتائجها المتخيلة المكبوتة في نثر كونراد العظيم.[٣١]

ما يهمنا في هذه القراءة هو أن نلتفت إلى الروابط بين الروايتين، وهذا الأثر قد يمتد لأعمال أخرى لكونراد تأثر بها الطيب صالح في أعماله. يوضح بايرون كامينيرو سانتانجلو Byron Caminero- Santangelo في دراسته المعنونة بـ: " Legacies of Darkness: Neocolonialism, Joseph Conrad, and Tayeb Salih's "Season of Migration

to the North"[٣٢] "إرث الظلام: الاستعمار الجديد، جوزيف كونراد وموسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح"، بعض الروابط الهامة بين أعمال كونراد والطيب صالح بشكل عام وهذين العملين بشكل خاص:

أولا: يستخدم الكاتبان ساردا يسرد قصة مربكة عن ماضيه الشخصي لمجموعة من المستمعين، مستخدما القصة ليعكس تجربة خاصة به. على سبيل المثال، يبدأ صالح روايته: "عدت إلى أهلي يا سادتي بعد غيبة طويلة".[٣٣]

ثانيا: يعيد سارد صالح في الرواية قصص الآخرين بكلماتهم الخاصة وبذلك يقوض، كما يوضح سانتانجيلو Santangelo الفكرة القائلة بثبات الحقيقة التي تضعها وجهة نظر واحدة.

ثالثا: نستطيع أن نسميّ كلاً من ساردي رواية كونراد وصالح بأنهما "أمناء السر"؛ في الرواية يشعر مصطفى سعيد بأنه مرغم على إخبار السارد بحكايته نتيجة للألفة الحاصلة بينهما لأنهما تعلما تعليما إنجليزيا.

رابعا: تبين الروايتان أثر الرحلات بين الشمال والجنوب، والجنوب والشمال، على الساردين، وتأخذ كلتا الرحلتين شخصياتها إلى قلب مقاطعة مستعمرة يتم فهمها بواسطة أيديولوجية استعمارية تمثل فكر الآخر (المستعمِر) الذي يزعم أنه نقي ثقافيا وجغرافيا ويسقط رؤاه على المستعمرات التي أتى منها الساردون. يوضح محمد شاهين أن "رحلة مصطفى سعيد هي صدى لرحلة كرتز، ولكنها معكوسة".[٣٤]

ومن اللافت الإشارة إلى أن كونراد، لم يحظ باهتمام ملحوظ في زمنه، ولكن بعد ظهور حركات نظريات "ما بعد الاستعمار" تمت دراسته بشكل متزايد، ومن المفارقة أن الاهتمام بالكتاب الآخرين المعاصرين له آنذاك بدأ بالتناقص. اهتمت رواية "قلب الظلام" بصورة كل من المستعمِر والمستعمَر، بل حتى أن الكاتب بوعي إنساني مبكر جدا "أراد أن يكتب نصا ضد الاستعمار"[٣٥] و"أن يعري مجموعة الادعاءات الاستعمارية".[٣٦] كما أنها من جانب آخر سلطت الضوء على الدوافع الاقتصادية والبرجماتية لفكرة السيطرة على مقدرات إفريقيا كما يوضح ألبيرت جيرار أنّ "في الكتاب وثيقة غاضبة تدين الاستغلال الشرس والعبثي".[٣٧]

قام كونراد من خلال بطل روايته وساردها مارلو برصد صورة الأفارقة السود من خلال منظور المتعاطف الأوربي الذي لا يزال يحمل في داخله القيم الفيكتورية البحتة، ولا يستطيع أن يفكر إلا من خلالها. بل إنه في أحسن أحواله كان يقوم بدور المكتشف الأوربي لآخر غريب عنه ومختلف عنه: "إن المكتشف يشفع للمستعمِر الذي يساكنه في نفس الجسد. ربما يفسر ذلك انقسام رواية كونراد بين فضح الأيديولوجية الاستعمارية والولاء لها".[٣٨] كما تؤكد رضوى عاشور رؤية "وات" في دراستها القيمة بعنوان 'قلب الظلام' في كتابها "صيادو الذاكرة": "إن الأفارقة في عيني كونراد الأوربيتين ليسوا سوى أشباح مخيفة أو متوحشين مستغلين يثيرون الشفقة، وهم تجسيد لقوة أولية لا تعرف ضبط النفس، وهم أيضا مصدر سحر أخاذ".[٣٩] إلا أن الرواية نجحت إلى حد كبير في كشف صورة الأفريقي من خلال أعين الغزاة، أو بمعنى أكثر دقة وفق سردية المستعمرين، الفاتحين الذين أرادوا أن يحرروها ويجعلوها عالما أكثر تطورا وتقدما.

٤. تشظي الهوية والذاكرة والسرد:

من أهم المفاهيم التي تمت معالجتها في الرواية هي مفاهيم "الاستغراب" و"الهجنة" حيث عرضت شخصيات صالح، التي تم اختيارها بدقة من قِبل المؤلف للعلاقة الجدلية بين الغرب والشرق وبينت الآثار السلبية للهجرة. مثلما توضح باتريشيا غيسي Patricia Geesey :

> أن السارد كان مأخوذا على نحو متزايد بماضي سعيد على ضوء حياته المعذبة. بينما بدا، في الحقيقة، آخر الرواية مشتت الذهن جدا جرّاء إرث سعيد، هذا السارد الذي بالكاد يستطيع أن يميز بين هويته وهوية سعيد.[٤٠]

وأكثر من ذلك بكثير، تبدأ الرواية بأول عوامل الإثارة مظهرة التناقض بين طريقة إخبار الحكاية وعنوان الرواية. تبدأ الرواية عندما يشرع السارد مجهول الاسم بسرد حكايته، متحدثا عن العودة إلى الوطن. تبرز العودة هنا بشكل واضح ضد تأويل القارئ للعنوان من حيث تناقض "فعل العودة إلى الجنوب" (عدتُ) مع العنوان "موسم الهجرة إلى الشمال". يكشف العنوان فكرة الرحيل عن الوطن، بينما يشرع الراوي بسرد الحكاية قائلا: "عدت إلى أهلي يا سادتي بعد غيبة طويلة، سبعة أعوام على وجه التحديد، كنت خلالها أتعلم في أوربا. تعلمت الكثير، وغاب عني الكثير، لكن تلك قصة أخرى".[٤١] من الواضح أننا منذ أول صفحة في الرواية نلاحظُ عدد المرات التي يكرر فيها السارد (عدت، ورجعت) الأمر الذي يبيّن، أولا: التناقض بين موقفي الهجرة والعودة إلى أرض الوطن، وثانيا: مشاعر الرفض التي يلمح إليها من خلال وصف السارد، إذ يصور مكان الهجرة كأرض "تموت من البرد حيتانها".[٤٢] كل هذه التجربة من العيش في الخارج لا تظهر في حكاية السارد ما عدا تمثيله المشوه لإنجلترا "كأرض تموت من البرد حيتانها" إلى أن يرى السارد الشخصية الأساسية في الرواية، مصطفى سعيد، الذي بدّل بيئته المحيطة به - بشكل أكثر دراماتيكية- من إنجلترا إلى السودان. لم يكن سعيد غريبا على سكان القرية فحسب بل كان غريبا بالنسبة لنفسه أو للأشخاص الذين تعامل معهم. يبدأ التشويق السردي في الرواية عند ظهور اللغز حين يكتشف السارد أن سعيد يلقي قصيدة إنجليزية رغم أنه من المفترض غيرُ متعلم. نتيجة لهذا، يعتبر هذا الحدث الحلقة الأولى من حكاية سعيد والسارد في أرض الشمال. كلاهما كان أحد مخلفات الاستعمار والهجرة إلى دولة المستعمِر. يعيد السارد مقاربة ذاته من خلال تجربة سعيد بوصفه مرآة لتجربته غير المحكية في إنجلترا كما سيتضح في نهاية هذه الدراسة.

على كل حال، علينا أولا في البداية أن نسلط الضوء على الشخصية الإشكالية لسعيد وكيف أصبح مرآةً لشخصية السارد، وكيف يمكن أن يمر أي مهاجر بمثل هذه الوضعية. من الواضح للقارئ أن سعيد كان طفلا صغيرا وذاتا تعيش خواء معرفيا، وفراغا روحيا مليئا بواسطة المؤسسات التربوية للمستعمِر التي عكست له وضعيته الحقيقية بوصفه منتميًا إلى بلد مستعمَر ذي هوية سوداء وهو الأمر الذي أعاد اكتشافه متأخرا. لذلك، ووفق هذا الفهم، كان الغرب انعكاسا للوجود الجمعي لمواطنيه السودانيين، وهكذا نجد أن سعيد كان عدائيا جدا بسبب صدمة الإدراك المتأخر التي تعرض لها. يجد مصطفى سعيد نفسه يعاني من عقدة النقص، وهكذا يصبح التحدي بالنسبة له، هو كيف يستطيع هذا الباحث السوداني الأسود أن يحرر نفسه من هذه العقدة ومن كونه مستعمَرا، ويجعله باحثا في حقل معرفي يذكّره بصفته ووصفه الحقيقي؟. والأكثر من هذا، كان زمن الحكاية يقع فيما بعد الحقبة الاستعمارية. بالتالي، إذا كان سعيد في زمن ما بعد

الاستعمار، في الزمن الذي ليس فيه عذر لاستخدام الأسلحة، فإنه يسأل هذا السؤال: ما الطريقة المثالية لأن يخلّص نفسه من إرث القهر الطويل؟. فكان الجواب هو السير على خطى (الاستشراق) أو بمعنى أكثر دقة (الاستغراب) هو الحل المناسب لتغيير الوضعية بين التاريخ الحقيقي للممارسات السياسية عبر تحويل المستعمِر بشكل رمزي لأن يكون مستعمَرا. وفي الحقيقة، توضّح النساء الإنكليزيات في تعبيراته من دون شك طريقته الاستغرابية في رؤية الآخر، مثلما يوضح مكلنّس Mclnnis:

> يمثل مصطفى بالنسبة للنساء الإنجليزيات، رمزا للجنوب الغريب تحديدًا؛ وشخصيته الشرقية، لا مجرد شخصه كرجل، هي السبب وراء افتتانهن به. يحكي مصطفى عن شيلا غرينوود أن "عالمي، الجديد كليا عنها، هو الذي جذبها إليّ"، في حين أن آن هاموند "كانت تتوق إلى الأجواء الاستوائية، والشموسِ القائظة، والآفاق الأرجوانية. كنت في عينيها رمزا لكل أشواقها.[٤٣]

يظهر سعيد في الرواية بصورة المستعمِر الذي يريد أن يحرر أفريقيا بواسطة عضوه الذكري مع عدة نساء إنكليزيات يظهرن في حياته الجنسية؛ ولقد ارتبطت صورة المرأة بصورة الوطن في أدبيات نظرية "ما بعد الاستعمار" مثلما نرى في الاقتباس التالي من الرواية: "الطائر يا مستر مصطفى قد وقع في الشرك. النيل، ذلك الإله الأفعى، قد فاز بضحية جديدة. المدينة قد تحولت إلى امرأة".[٤٤] كانت كلٌّ من آن هاموند وإليزابيلا سهلتي المنال، وهكذا استطاع سعيد إغراءهما بسهولة وإظهار عواطف المستعمِر بموافقة كاملة منهما الأمر الذي يشير إلى تابعية المستعمَر للمستعمِر، مثلما يصف ذلك سعيد بنفسه. على الصعيد الآخر، كانت جين موريس التي رفضت أن تسلم سعيد نفسها بسهولة رغم أنهما كانا متزوجين، المعركة الأصعب بالنسبة له. وهذا ما شجعه لأن يقتلها، على وجه الخصوص عندما أقرت له بأنها خانته مع رجل آخر. وهو بالتالي يحكم عليها من خلال وجهتي نظر. في الجانب الأول، يقدم نفسه رجلا شرقيا يرفض تماما أن يكون مخدوعا، ويفضّل أن يكون قاتلا بدلا من أن يكون في مثل هذه الوضعية. الأمر الذي له دلالة واضحة تعني أن الموروث الشرقي لا يزال حيّا في لا وعيه، حتى لو كان متعلما بشكل جيد في ثقافة متحررة. مثلما أخبره الكولونيل بذلك، أنه غبي وقد أضاع القوة الأكثر أهمية في العالم وهي قوة الحب. من الجانب الآخر، يحاول سعيد أن يصوّر العقلية البربرية للمستعمر عندما يتم تحدي إرادته من قِبل أي عدو مثل جين موريس. هذا ما توضحه Takieddine-Amyuni: "تمثل آن، شيلا، وإيزابيلا، التجليات المتعددة لجين موريس، فبعد أن يقدمن أنفسهن لسعيد في "مسرح الحرب" الذي كان غرفته في لندن. تزداد اللعبة السادية المازوشية حدةً مع جين موريس".[٤٥] هذا يفسّر لماذا كان سعيد يكرر بانتظام أنه ليس عطيل، عطيل هو كذبة والسبب في ذلك هو أن سعيد يظهر مستعمِرا قويا بشكل واضح، وليس مثل عطيل بطل مسرحية شكسبير، بوضعيته الضعيفة. من وجهة نظر كايشنان Keishnan، يقيّم الوضع المتناقض لسعيد كالتالي:

> وهكذا يعيش سعيد المفارقة - كشخص يود أن يكون مكتملا، فإن الطريق للاندماج يباعده دون رجعة عن ثقافته ومجتمعه، ولكنه لا يوصله إلى الوجهة المطلوبة كذلك- قبوله بالإنجليزية كمساوٍ لما أعده تعليمه له.[٤٦]

بقدر أهمية أبعاد الاستغراب في الرواية، هناك توجه آخر يتفق مع فكرة بناء الشرق التي تتطابق مع ما يكشفه إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق"، وذلك من خلال بيان الطريقة التي رسم بها الغرب صورة متخيلة عن الشرق، وكيف تعامل معها على أنها حقيقة واقعة. لهذا، يعكس مصطفى سعيد استشراق الغرب بطريقة مشابهة للتي فعلها الغرب مع الدول الشرقية المستعمَرة من خلال ما يسمى بـ" علم الاستغراب". تنتشرُ هذه الفكرة عبر مواضع عديدة في الرواية مثل ما يردده مصطفى سعيد بتكرار لافت: "أنا المستعمِر". بالإضافة إلى هذا، يتطابق الأمر مع ما توضحه دراسة ماكلنّس Mclnnis في مقارنته بين رواية جين ريس "بحر سرقوسة الواسع" و"موسم الهجرة إلى الشمال". يقول ماكلنّس: "تهتم كل من روايتي بحر سرقوسة الواسع لجين ريس وموسم الهجرة للشمال للطيب صالح بكسر السرد الرئيسي للإمبريالية الانجليزية. فهما تحطمان الهياكل القمعية التي تدعم المنظور الامتيازي للمستعمِرين، وترفض تمثيل المستعمَر الآخر".[٤٧]

يقودنا هذا أولا إلى أن نحقق في إدراك الطيب صالح المبكر لأعمال فرانز فانون. في الحقيقة، كان صالح بنفسه، وفق هذا الاعتبار، يقوم بعمل مماثل لعمل فانون وآخرين الذين كانوا يقومون بعملية تفكيك سردية المستعمِر. مثلما يوضح خيري دومة في مقالته، "عدوى الرحيل"، أن الطيب صالح اعترف بأهمية عمل فانون في بناء الخطوة الأساسية في عرض واقع المستعمِر.[٤٨] إضافة لهذا، فإن موضوعات ما بعد الاستعمار تمددت في الرواية لتشمل مظاهر عديدة مثل مفهوم هومي بابا للهجنة Hybridity، والهويات الجينية Hybrid Identities. ومثلما يبين إدوارد سعيد في معرض حديثه عن المنفي: "إن المنفي يعيش في حالة وسطية، لا ينسجم تماماً مع المحيط الجديد ولا يتخلص كليا من عبء البيئة الماضية".[٤٩] سقط كل من سعيد وسارد الرواية في هذا النوع من الانقسام والازدواجية، لكن سعيد بوصفه بطلا عضويا في الرواية، يدرك ازدواجيته ويعيش في الخطأ أكثر من السارد نفسه الذي لم يكتشف ازدواجيته إلا في مرآة تجربة مصطفى سعيد نفسه. كانت غرفتا نوم سعيد في إنجلترا والسودان مثالا واضحا على هذه الهجنة. في إنجلترا، صمم غرفته على ما اعتاد عليه العرب في تزيين غرفهم في الماضي، ولكن، كانت غرفته المغلقة في السودان انعكاسا دالا على التأثير العميق الحاصل في ذاكرته الذي يشير إلى عجزه عن تجاهل الثقافة الغربية على الرغم من النهاية المأساوية له في الخارج. كما يرسم الأمر السارد المستغرب:

> ذهبت إليه والمصباح في يدي فإذا هو... يا للحماقة، مدفأة. تصوروا مدفأة إنجليزية بكامل هيئتها وعدتها، وفوقها مظلة من النحاس وأمامها مربع مبلط بالرخام الأخضر، ورف المدفأة من رخام أزرق وعلى جانبي المدفأة كرسيان فيكتوريان مكسوان بقماش من الحرير المشجر بينهما منضدة مستديرة عليها كتب ودفاتر. ورأيت وجه المرأة التي ابتسمت لي قبل لحظات. لوحة زيتية كبيرة في إطار مذهب على رف المدفأة، والتوقيع في الركن الأيمن (م. سعيد). وانتبهت إلى النار في وسط الحجرة تكاد تكون حريقا.[٥٠]

ويقول السارد في فقرة لاحقة: "لا يوجد كتاب عربي واحد".[٥١] وهذا الاقتباس الأخير أكثر دلالة على أن كل محتويات مكتبة سعيد كانت بالإنجليزية، مما يؤكد استغرابه أنه لا تستهويه الكتب

العربية بشكل كاف، أو أنه لا يقرأ إلا الإنجليزية بسبب هجرته المبكرة إلى إنجلترا، أو حنينه الدائم للمعرفة الغربية.

مثلما ذكرنا سابقا، لا يكتشف السارد هجنته حتى يقابل سعيد الذي هز ذاكرته الخفية ليكتشف أنه لم يكن سودانيا صافيا ولا إنجليزيا خالصا، ولكنه الاثنان معا. يبين إدوارد سعيد هذا الموقف الإشكالي: "ولأن المنفي يرى الأمور من حيث علاقتها بما خلّفه وراءه، وبما هو أمامه الآن وهنا على السواء، فإن ثمة منظورا مزدوجا لا يقدر مطلقا على رؤية الأشياء بمعزل عن بعضها".[٥٢] وهكذا، يضعه هذا الاكتشاف المتأخر في متوالية من الأفعال بحيث إن كل حادثة تزيد من ازدواجيته وتمنعه من اتخاذ القرار الصحيح أو تحقيق ما يريده حقيقة إلى أن يصل إلى اللحظة الحاسمة في نهاية الرواية:

> طول حياتي لم أختر ولم أقرر. إنني أقرر الآن أنني أختار الحياة. سأحيا لأن ثمة أناسا قليلين أحب أن أبقى معهم أطول وقت ممكن، ولأن علي واجبات يجب أن أؤديها، لا يعنيني إن كان لها معنى أو لم يكن لها معنى.[٥٣]

كما يبدو فإن الخطأ الأكثر إشكالية في حياة السارد هو كونه تأخر في اكتشافه لهويته ورغباته. كدليل لافت، سقط السارد في حب حسنة لكنه لم يستطع أن يمنعها من الزواج المأساوي. من جانب آخر، لا يمنحنا السارد أي معلومات معتبرة حول زوجته مما يكشف تجاهله لحياته الشخصية ورغباته. وكما يبدو في كل أحداث الرواية ليس لديه شيء مهم يفعله سوى أن يتتبع متفرقات متعلقة بقصة سعيد مما يعكس بشكل دقيق هويته المفقودة. هذه المعاناة المؤلمة، على كل حال، تنتهي تقريبا عندما يقرر السارد أن يواجه سعيداً بنفسه في آخر الرواية، بدلا من هروبه المتواصل. هذا ما يعكس فائدة مواجهة النفس في مرآة تجارب الآخرين التي تتوافق مع تجاربنا. مثلما توضح غيسي Geesey: "فقط من خلال استكشافه لحكاية مصطفى سعيد عن حياته، استطاع الراوي أن يفهم على نحو أكثر كلية طبيعة الاتصال الثقافي وعدواه بين السودان وسلطته الاستعمارية السابقة".[٥٤] هذا ما يجعل السارد واعيا لتصرفاته ومدركا لأبعاد خفية لهويته، كما يصف ما يعتريه من مشاعر إزاء غريمه مصطفى سعيد: "إنه الحقد ها أنا ذا أقف الآن في دار مصطفى سعيد أمام "باب الحديد". باب الغرفة المستطيلة المثلثة السقف الخضراء النوافذ المفتاح في جيبي، وغريمي في الداخل على وجهه سعادة شيطانية لاشك؟ أنا الوصي والعاشق والغريم".[٥٥] الوصف التقريبي لحالة السارد السابقة هي ما يأخذه بابا من عمل جيمس بلدوين James Baldwin، "مواجهة على نهر السين: أسود يقابل أسمر" في مقالته "القلق في بؤرة الاختلاف"، عندما يكتب بالدوين عن لحظة التعرف على الآخر بوصفه نفسه: "الآن هو عظم من عظامهم، لحم من لحمهم... لهذا لا يستطيع أن ينكرهم، ولا يمكن أن ينفصلوا".[٥٦]

..... على الرغم من أن صالح يقدم مظاهر عدة للمهاجرين المهجنين، فإنه لم يأخذ الخطوة الأبعد، مثلما فعل بابا، بسبب الصورة السلبية للتفاعل مع الحضارة الأخرى المتمثلة في شخصيتي سعيد والسارد رغم كونهما مثقفين ثقافة عالية. بدلا من استفادتهما من ثقافة الآخر التي سافرا - بداية-لأخذ قبس من أضوائها، فإنهما عادا مثلهما مثل أي شخصيات معذبة بطريقة تبدو وكأنهما لم يعودا وقد أنجزا الأهداف العظيمة التي ذهبا من أجل تحقيقها. يفترض في بلد متطور معرفيا

وثقافيا مثل بريطانيا أن تكون ثقافتهما المكتسبة عاملا في إحداث نوع من التغيير في الحياة الثقافية في السودان، وأن يبثا التنوير في حياة المجتمع السوداني لبناء سودان جديدة، لا أن يكونا مثقفين مهزوزين من الداخل. لم يقدما ولم يقتربا بشكل إيجابي من الفضاء الثالث للمهاجرين المنفيين الذي يخلق تعريفا جديدا للأنا بدلا من المعاناة الحادة والجدلية للأضداد بين المستعمِر والمستعمَر. بدلا من القدوم من الغرب بذاكرة خفية "كنت هناك"؛ كان من الممكن أن يقرا أن لديهما هذه الوفرة المتنوعة من الثقافتين مثل شجر الليمون والبرتقال الذي ينمو في أرض سعيد في السودان. أو أنه من الممكن مثلما يصف "بابا" الأمر في كتابه، "الأمم مثل السرديات"، إن أصوله تعود إلى أساطير ليست مهمة كفاية كي تُتبع، ولكن ما هو ضروري لأمم العالم المتطور، مثل الثقافات الأخرى، هو أن تتفاعل بانسجام مع هذه الثقافات الخليطة وتتبادل الثقافات بين الأمم.[٥٧]

على النحو نفسه، يبدو تحليل بابا السابق قريبا من وجهة مصمودي Masmoudi في شرحها لفكرة فشل الوصول في الرواية "إنها فرصة للراوي للتخلي عن الأوهام والانفصام عن الفكرة الثابتة للهوية والشروع في التغير. وهي ترمز إلى فشل رؤية الحداثة العربية التي تهيمن عليها الخطابات القومية والتقليدية".[٥٨]

وفيما تتطرق له مصمودي Masmoudi هناك ارتباط كبير فيما يعرض له المفكر البريطاني ستوارت هول Stuart Hall في كتابه *The West and the Rest* "الغرب والبقية" عن مفهوم الهوية المتحولة، والمتعددة، وهو المفهوم الذي له استثمارات عديدة في نظرية "ما بعد الاستعمار". نظر سعيد وبابا وهول للهوية على أنها متحولة وغير ثابتة، وقد لاحظوا أن فكرة الهوية ذات البعد الواحد هي فكرة مرتبطة ارتباطا كبيرا بالقوميات في مرحلة الاستعمار أما فيما بعد الاستعمار فقد أصبحت الهوية في طور التشكيل، والتي عبّر عنها كل من أمين معلوف في كتابه القيّم "الهويات القاتلة"، ولمحمود درويش في قصائد كثيرة حول هذه الفكرة لعل أشهرها: "أنا لست أخجل من هويتي فهي ما زالت قيد التأليف".[٥٩]

باختصار، لو أن صالح استطاع أن يقارب هذا المعنى المتفوق للهوية، لكان من الممكن أن يقوي وجهة نظره في مقاربة المفهوم الكوني للهوية بدلا من تقديم صورة متشظية للهوية. ولكن من الممكن القول إن هذا الفهم يقع ما بين مرحلة القوميات الكبرى، وانبثاق مفهوم الهويات المتعددة المتحولة، أي قبل ظهور طروحات ما بعد الحداثة الخاصة بالهوية، وقبل ظهور كتابات نظرية "ما بعد الاستعمار".

كما عرض في الرواية، فإن الهجنة أثرت على كل من الشخصيتين شخصية السارد ومصطفى سعيد، كما أنها أيضا تقدم التقنية السردية بطريقة غير مألوفة. فهي طريقة لم تُمارس من قبل في الأنواع التقليدية في إخبار القصص (Telling Stories)، لم تُسرد حكاية مصطفى سعيد دفعة واحدة، ولكن القارئ يكتشفها بالتدريج عبر فصول الرواية من خلال شظايا صورته المتناقضة. على سبيل المثال، يصفه أحدهم على أنه بطل معارض للاستعمار يحارب ضد المستعمر؛ وعلى النقيض من ذلك، يصفه آخر بشكل مختلف. على كل حال، الأمر الدال في هذه السردية هو تقطيع الحكاية، تبعا لأجزاء مختلفة تشكل البورتريه الكامل لسعيد، وهذه التقنية

تتناسب من ناحية فنية مع هذه الشخصيات الهجينية المتشظية. بالإضافة إلى هذا، فإن القصة قُدمت بواسطة ساردين، السارد الرئيسي هو الراوي مجهول الاسم الذي يحكي القصة كاملة؛ أما السارد الجزئي فهو سعيد الذي يسرد أحداث حكايته في الفصل الثاني الذي يبدأه بقوله: "إنها قصة طويلة، لكنني لن أقول لك كل شيء".[٦٠] يتوافق هذا النمط من السرد فعليا وجوهر الرواية البولفونية كما يسميها ميخائيل باختين: "إن الرواية المتعددة الأصوات ذات طابع حواري على نطاق واسع. وبين جميع عناصر البنية الروائية، توجد دائما علاقات حوارية".[٦١] يكمل باختين مشددا على أهمية تعددية الأصوات في السرد الذي يحيل بشكل عام إلى تنوع قيم التعرف على وجهات نظر مختلفة وإضافة عامل المصداقية في الرواية. بالإضافة إلى هذا، يبدو بحثا محفّزا للسارد ليتعرف على قصة سعيد، الذي يجده عبر اكتشاف متأخر مرآةً لحياته، أو بمعنى أدق لذاكرته المقموعة في لا وعيه التي كان يظن أنها قد نُسيت، ولكن لسوء حظه يبدو أنها كانت في حالة سباتٍ في لا وعيه حتى قابل سعيد نفسه وشيئا فشيئا بدأ يتعرف على حياته الهجينة في غرفة سعيد وجها لوجه مع الجزء الأخير الذي يكمل قصة سعيد.

٥. هوية المرأة ونظرية "ما بعد الاستعمار": حسنة بنت محمود أنموذجًا

تتداخل طروحات نظرية "ما بعد الاستعمار" بشكل كبير مع النظرية النقدية النسائية في الموجة الثالثة، لأن كليهما يبحث في محاولة تحرير المجتمعات من سطوة القوى المهيمنة على المجتمعات سواء كانت بشكل استعمار ظاهر أو مضمر في شبكة العلاقات الاجتماعية بين ما هو فوقي ودوني. تعتبر البلاد المستعمَرة مثلها مثل أجساد النساء في الثقافات التقليدية لا تملك حرية واستقلالية عن الآخر. وفي هذا السياق، نفهم رمزية ثنائية المرأة-الوطن في الأعمال الوطنية التي تتحول من صورة المرأة المحبوبة إلى صورة المرأة الوطن.

عند الالتفات لموضوع المرأة من وجهة نظر الاستعمار، سنجد أن صورة المستعمِر قد رسمت بشكل نموذجي من خلال السمات الذكورية، بينما شُكلت أرض المستعمَر في المخيلة بمصطلحات أنثوية، مما تنتج العلاقة الرمزية بين الأرض والمرأة. يلاحظ أشكروفت وجريفيثز وتيفين أن موضوع الأنوثة مهمٌ بالنسبة لخطاب "ما بعد الاستعمار" لارتباطها بالأرض التي من ممكن أن يُنظر لها من قِبل كلّ من البطرياركية والإمبريالية بوصفها أنماطا من الممارسة تتشابه مع الهيمنة على الشعوب المستضعفة. لهذا من الممكن أن تتوازى تجربة النساء مع البطرياركية والأراضي المستعمرة وفق عدد من الاعتبارات، أهمها أنها تناهض فكرة الهيمنة التي تتسم بها كل من القوى الإمبريالية، والأنظمة الأبوية.[٦٢] وفق هذا التصور، نجد كلاً من نظرية "ما بعد الاستعمار" و"النظريات النسوية" تشتركان في نقد هيمنة السلطة وتقويض خطابها. تتصل الروابط الرمزية بشكل كبير بين الأرض والنوع الأنثوي بما يسميه روبرت يونج "الرغبة الاستعمارية"؛ كما يوضح كتابه "الإمبراطورية ترد بالكتابة" كيف يصل يونج لنتيجة مفادها أن فكرة الاستعمار نفسها مغروسة في الخطاب الجنسي للاغتصاب، والاختراق، والتلقيح، بينما يتم تمثيل العلاقة التابعة للمستعمِر والمستعمَر غالبا في الخطاب الذي ينبع من الغرائبية الجنسية. لهذا، تعكس حتى السمات الإيجابية للاتجاهات الاستعمارية في الخطاب، مثل (الاستشراق)، رؤية جنسية مختزلة بشكل أساسي.[٦٣] وما سبق يفسر لماذا يتم مقارنة الأرض المستعمَرة أحيانا بالمرأة التي تم تعنيفها على امتداد تاريخ طويل من القهر، حيث إن المستعمِر

يرى المستعمرات مصدرا للمتعة والشهوة. تعابير مثل هذا النوع تستخدم بواسطة الكتّاب العرب بشكل عام، الذين يعتبرون دولهم مثل النساء المعشوقات اللائي تمت معاملتهن بشكل سيء من قِبل الحكومات الديكتاتورية. كل ما سبق، يبين لنا سبب الالتفات في هذه القراءة لهوية المرأة السودانية وفهم ارتباطها بالسودان المستعمَرة، والمجتمعات الأبوية التي يجب أن تتغير فيما يلي من مناقشة.

> يبين إدوارد سعيد مشكلة المثقف والمجتمع الذي يعارض روح التغيير بقوله:
> المشكلة المحددة للمثقف هي أن ثمة جماعة لغوية موجودة أصلا في كل مجتمع تتحكم فيه عادات التعبير، وأن إحدى وظائفها الرئيسية هي حماية الوضع الراهن، والتأكد من أن الأمور تجري بسلاسة، لا تبديل فيها ولا اعتراض عليها.[٦٤]

قد يقدم الاقتباس السابق مفاتيح لفهم إشكالية شخصية المرأة في تعاملها مع الثقافة الأبوية في مجتمعها، ورغبتها في التحرر والانعتاق من تبعية المرأة للنظام الذكوري. تمثل كل هذه النزعات للهوية الخليطة والقدر المعتبر من الحرية جرعةً مؤثرة في القرية كنتيجة لأثر الهجنة الذي تجذر في شخصية حسنة لتفتح الدائرة حول أسئلة غير منتهية حول أوضاع المرأة. تبدو حسنة أنها متأثرة إلى حد كبير بهذا الزوج الهجيني، سعيد، بقدر المدة الطويلة التي قضتها معه زوجة وأما لابنيه. لهذا، كان من المفترض لهذا النوع من التمازج بين الزوجين أن يحول هذه الروح المستسلمة إلى ثورية ضد أي نوع من العبودية. لكننا نرى أنه لا السارد ولا سعيد ولا حسنة، أخبروا القرّاء كيف كان سعيد يعامل زوجته، ولكن هذا لا يعني أن سعيد لم يعلّم زوجته أن تكون حرة من خلال سلوكه معها بوصفه رجلا متعلما ومثقفا. وإذا كانت لم تعش معه حياة مميزة لماذا رفضت أن تتزوج رجلا آخرا بكل هذا العنف؟. هنا لا بد أن نفترض أنها كانت تحيا حياة حرة وكريمة مع سعيد لكي تقرر أن تحيا حياتها بعده بحرية أولا، ومن جانب آخر كانت عدوى زوجها في الرغبة في الانتقام ممن أساء لها بأن تتصرف بعنف مع زوجها اللاحق. على كل حال، بالنسبة لحسنة فقد قامت هنا بتصرفات بطريقة مأساوية وصادمة لكي تحرر نفسها وأجيال من النساء السودانيات اللاتي سوف يأتين من بعدها. ما فعلته حسنة هو رسالة حادة إلى المجتمع السوداني التقليدي لكي يفكر بعمق في العادات القمعية التي تسيطر بقبضة محكمة على أفراد المجتمع. بالإضافة إلى هذا، هناك وجهة نظر داعمة بشكل دال باسم "ود الريس" الذي لديه إشارة هامة في الرواية. فاسمه مركب من جزئين: الأول ولد، والثاني الريس، الذي يعني الرئيس أو الحاكم. بالتالي، سوف يعتبر هذا القتل بوصفه نبوءة لقتل التقاليد الأبوية التي كانت تحكم الفضاء الثقافي في القرية المغلقة على ذاتها، القتل بدلا من الموت لأنها –أي القرية- لن تتغير من تلقاء نفسها إلا بإيمان أفرادها العميق بضرورة التغيير.

يؤسس التغيير -الذي يتطلب بالضرورة في مرحلة لاحقة أدوات معرفية- لوجود هذا الكيان الإنساني الذي يريد أن يحظى باعتراف ويؤسس لثقافة جديدة، وهو الأمر الذي يصفه هومي بابا:

> الحد الفاصل لعمل الثقافة يتطلب مواجهة مع الجديد، الذي هو ليس جزءا من تواصل الماضي والحاضر. إنه يخلق فهما للجديد كأنه فعل متمرد للترجمة الثقافية. مثل الفن؛ لا يستطيع الفن أن يستدعي بكل بساطة كسبب اجتماعي أو

سابقة جمالية، إنه يجدد الماضي، يعيد تصوره على أنه فضاء بيني ممكن، فضاءٌ يجدد ويقاطع أداء الحاضر، وهكذا يصبح الحاضر جزءا من الضرورة للحياة وليس حنينًا إليها.[٦٥]

لا يمثل ود الريس وحده الرمز الوحيد لضرورة التغيير، ولكن جد السارد أيضا، مثلما توضح تقي الدين أميوني Takieddine-Amyuni، يجب أيضا أن يتغير: "وهنا يكمن المعنى الأساسي لانهيار "الحاج أحمد"، وهو موقفه الثابت في عالمٍ ديناميكي. كان على العجوز أن يتغير أو يموت".[٦٦] هذه هي النقطة المميزة في الرواية وهي حل القضايا الإشكالية في الرواية، إما أن ترحب برياح التغيير أو تموت، ولكن قد يحتاج القارئ أن يعود إلى الوراء عند هذه النقطة ويتأمل ماذا كان يقصد مصطفى سعيد عندما قال له: "جدك يعرف السر".[٦٧] من الممكن أن يكون هذا تأكيد سعيد على أنها معالجة حازمة أو من الممكن أنه بناء جسر بين الماضي والحاضر لرسم المستقبل، وبما أن سعيد نفسه يعاني من اكتشاف التاريخ المثقل بقوى الاستعمار. بالتالي من المهم أن نسائل الماضي، وأن نغربله للتغيير، ليس بشكل مأساوي بالضرورة، ولكن بأن ننقل الإيجابيات من الماضي ونستفيد من التغيرات الإيجابية في الزمن الحاضر. وقد يفسر المشكلة التي واجهها سعيد في بريطانيا سفره وهو طفل لثقافة أخرى وهو بدون جذور وانتماء كمادة جاهزة قابلة للتشكيل. على سبيل المثال، تلاحظ مصمودي Masmoudi أنه بالمقارنة بين سارد الرواية وسارد رواية "قنديل أم هاشم" يجمع الراويان الماضي والحاضر ويتحتم عليهما أن يتعاملا معهما بحذر: "ما إن تغادر قواربهما، يواجه كل من اسماعيل والسارد مسؤوليتهما ويصنعان اختياراتهما؛ إما عبر العودة إلى الماضي مع معادلته القديمة أو بواسطة رفضه".[٦٨]

٦. الخاتمة:-

يحدد إدوارد سعيد إحدى مهام المثقف بما يلي: "إن إحدى مهام المثقف هي بذل الجهد لتحطيم الآراء المقولبة والمقولات التصويرية التي تحد كثيرا من الفكر الإنساني والاتصال الفكري".[٦٩] وهذا ما قام به الطيب صالح تحديدا بهذا العمل الروائي الرصين الذي حاولتُ في هذه المقالة توضيح اشتغال الطيب صالح على قضية التمثيلات المغلوطة بين الأمم. كما حاولتُ بهذه القراءة تبيين أن رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" هي إحدى الأعمال المهمة في أدب نظرية "ما بعد الاستعمار" التي كشفت في مرحلة مبكرة العلاقة الجدلية بين الشرق والغرب على ضوء الصراع التاريخي بين المستعمِر والمستعمَر. بالإضافة إلى هذا، حاولتْ القراءة أن تحلل الرواية على ضوء مفهومين مهمين لنظرية ما بعد الاستعمار وهما: "الاستغراب" ، و"الهجنة" لهومي بابا. بالإضافة لهذا، فإن هذه القراءة حاولت أن تعنون الروايات التي تحدثت عن موضوع الهجرة في ضوء حركتي الاستعمار وما بعد الاستعمار ولا سيما تأثر الروائي الطيب صالح بأعمال سابقة له مثل رواية "قلب الظلام" لجوزيف كونراد. بعدها، استكشفتُ صور "الاستغراب" و"الهجنة" في الرواية من خلال شخصيتي مصطفى سعيد والسارد مجهول الاسم اللذين استقبلا الثقافات الهجينية بشكل سلبي. وتم استثمار هذه المفاهيم في قراءة تأثير الهجنة على شخصية المرأة السودانية حسنة بنت محمود. ختامًا، تغطي هذه الرواية إشكالية مهمة في التاريخ العربي المعاصر، ولكن هناك روايات أخرى معاصرة قاربت هذه الموضوعة بطريقة مختلفة من منظور ما بعد حداثي تستحق الالتفات إليها.

وبعد، ثمة مقترحات توصلت إليها من خلال دراستي هذه، وهي:

أولا: ثمة مناطق بحاجة للبحث والتحليل في دراسة هذه الرواية يمكن استثمارها في دراسات لاحقة مثل عمل دراسة نقدية مقارنة بين رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"، ورواية "قلب الظلام" وذلك لما بين هاتين الروايتين من تداخل وتعارض كبيرين يستحقان التأمل والتفكير وإطلاع القارئ العربي على ذلك الأثر الخلاق للعمل السابق على اللاحق.

ثانيا: ضرورة أن يتم استثمار مفاهيم نظرية "ما بعد الاستعمار" في قراءة الأعمال الأدبية التي كُتبت في ضوء أبعاد هذه النظرية، كونها من النظريات الهامة التي تقدم لنا رؤى ما بعد حداثية تمكننا من قراءة المرجعيات السياسية والتاريخية والثقافية في النصوص الأدبية العربية.

ثالثا: تتداخل بشكل كبير دراسات "ما بعد الاستعمار" والنظرية النقدية النسوية لا سيما في الموجة النقدية النسائية الثالثة بحيث إن صورة المستعمِر والمستعمَر يمكن تطبيقهما على علاقة كل من الرجل والمرأة وهيمنة الثقافة الذكورية على المجتمع. مما يعني إمكانية قراءة أعمال روائية تتبنى الأفكار النسوية وفق علاقات الهيمنة بين المستعمِر والمستعمَر والرجل والمرأة.

٧. الهوامش:

[١] خيري دومة، "عدوى الرحيل: موسم الهجرة إلى الشمال ونظرية ما بعد الاستعمار"، عمان: دار أزمنة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،٢٠١٠م. ص: ١٨.
[٢] جورج طرابيشي: شرق وغرب، رجولة وأنوثة: دراسات في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت١٩٧٩.
[٣] يمنى العيد: تملك الوطن ومعادلة الجنس والحضارة (معاناة في التاريخ في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، مجلة الطريق، العددان ٣-٤، بيروت أغسطس١٩٨١.
[٤] سيزا قاسم: تجربة نقدية، موسم الهجرة إلى الشمال، فصول مج١ ع ٢، القاهرة، ١٩٨١م.
[٥] هاشم ميرغني، "الطيب صالح وإشكاليات الخطاب النقدي، مجلة العلوم والتكنولوجيا، مجلة العلوم الإنسانية، ١٣ (١)، ص ص: ٢٤-٤٣.
[٦] السابق، ص: ٢٨.
[٧] السابق، ص ص:٢٩-٣٠.
[٨] محمد شاهين، "تحولات الشوق في موسم الهجرة إلى الشمال"، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م.
[٩] محمد شاهين، "آفاق الرواية: البنية والمؤثرات"، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١، ص: ٨٠.
[١٠] كلثم مدقن، "دلالة المكان في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح"، الأثر- مجلة الآداب واللغات- جامعة ورقلة- مايو (٤)، ٢٠٠٥. ص ص: ١٤٠-١٥٦. ص: ١٤٥.
[١١] آمال علاوشيش، "خطابات الما بعد: في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية"، إشراف وتقديم د. علي عبود المحمداوي، مجموعة مؤلفين، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الرباط: ٢٠١٣م. ص٤٣.
[١٢] خيري دومة، "عدوى الرحيل: موسم الهجرة إلى الشمال ونظرية ما بعد الاستعمار"، عمان: دار أزمنة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،٢٠١٠م.
[١٣] فرانز فانون، "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء"، ترجمة: خليل أحمد خليل، بيروت: دار الفارابي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
[١٤] فرانز فانون، "معذبو الأرض"، الجزائر عاصمة للثقافة العربية، بحث وتقديم ك. شولي، موفم للنشر: الجزائر، ٢٠٠٧م. ص:٥-٦.
[١٥] إدوارد سعيد، "الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق"، تر: د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع: القاهرة، ٢٠٠٦م. ص: ٦١.
[١٦] السابق، ص: ٦٤.
[١٧] أنطونيو جرامشي، "دفاتر السجن"، نقلا عن: إدوارد سعيد، "صور المثقف: محاضرات ريث ١٩٩٣م"، بيروت : دار النهار، ١٩٩٦م.
[١٨] إدوارد سعيد، "الاستشراق"، ص: ٧٦.
[١٩] Edward. Said., *Orientalism reconsidered*, in "Europe and Its Others", edited by Francis Barker, Peter Hulme, Margaret Iversen, and Daiana Loxley, Colchester: University of Essex, 1985.
[٢٠] السابق.
[٢١] آمال علاوشيش، "خطابات الما بعد"، مرجع سابق، ص:٤٧.
[٢٢] بيل أشكروفت، جاريث جريفيثيز، هيلين تيفين، "الامبراطورية ترد بالكتابة: أدب ما بعد الاستعمار: النظرية والتطبيق"، ترجمة وتقديم: خيري دومة، عمان: أزمنة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
[٢٣] السابق، ص: ٢٥-٢٦.
[٢٤] خيري دومة، مرجع سابق.
[٢٥] Edward. Said., *Culture and Imperialism*, London: Vintage, 1994.
[٢٦] ادوارد سعيد، "صور المثقف"، مرجع سابق، ص:٥.
[٢٧] Homi. Bhabha., *The Location of Culture*. Routledge: London, 1994.
[٢٨] جوزيف كونراد، رواية "قلب الظلام"، تر: حرب محمد شاهين، دمشق: دار المصير، ٢٠٠٤م.
[٢٩] بشير ربوح، "إدوارد سعيد والفلسفة"، "تبيين" للدراسات الفكرية والثقافية، العدد ١٥- المجلد الرابع- شتاء ٢٠١٦م. ص-ص: ٢٣-٣٨.

[٣٠] Legacies of Darkness: Neocolonialism, Joseph Conrad, " Byron Caminero- Santangel. and Tayeb Salih's "Season of Migration to the North". *Ariel: A Review of International English Literature*, V. 30, N. 4, (1999). pp:7-33. p.8.

[٣١] السابق، ص:٨.

[٣٢] Byron. Caminero- Santangelo., "Legacies of Darkness: "Neocolonism, Joseph Conrad, and Tayeb Salih's "Season of Migration to the North", *Ariel: A Review of International English Literature*, V.30, N.4 (1999). pp:7-33.

[٣٣] رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"، ص:٥.

[٣٤] السابق، ص: ١١.

[٣٥] رضوى عاشور، "صيادو الذاكرة"، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠١م، ص: ١٤٦.

[٣٦] السابق، ص: ١٤٦.

[٣٧] ألبيرت جيرار، "كونراد الروائي"، ١٩٥٨م، ص: ٣٤، نقلا عن: رضوى عاشور، "صيادو الذاكرة"، مرجع سابق، ص: ١٤٧.

[٣٨] رضوى عاشور، السابق، ص:١٥٢.

[٣٩] السابق، ص١٤٧.

[٤٠] See: Patricia. Geesey., "Cultural Hybridity and Contamination in Tayeb Salih's" Mawsim al-hijra ila al-Shamal (Season of Migration to the North)". *Research in African Literatures*. V. 28, N. 3, (1997), pp. 128-140.

[٤١] الرواية، ص: ٥.

[٤٢] السابق، ص: ٥.

[٤٣] David. Mclnnis., "Re-orienting the Gothic Romance: Jean Rhys, Tayeb Salih, and Strategies of Representation in the Postcolonial Gothic". *ARIEL: A Review of International English Literature*, V. 39, N. 3 (2008). p:90.

[٤٤] الرواية، ص: ٥٩.

[٤٥] Mona. Takieddine-Amyuni., "Images of Arab Women in Midaq Alley by Naguib Mahfouz, and Season of Migration to the North by Tayeb Salih". *International Journal of Middle East Studies*, V. 17, N. 1 (1985), pp. 25-36 .p. 152.

[٤٦] R.S Keishnan., "Reinscribing Conrad: Tayeb Salih's Season of Migration to the North". North Dakota State University. *The International Fiction Review*, 23 (1996). p. 11.

[٤٧] Mclnnis ., ibid, P. 85.

[٤٨] خيري دومة، مرجع سابق.

[٤٩] إدوارد سعيد، "صور المثقف"، مرجع سابق، ص.ص: ٥٨-٥٩.

[٥٠] الرواية، ص: ١٢٣.

[٥١] الرواية، ص: ١٢٤.

[٥٢] إدوارد سعيد، "صور المثقف"، مرجع سابق، ص:٦٩.

[٥٣] الرواية، ص: ١٥١.

[٥٤] Patrici. Geesey., "Cultural Hybridity and Contamination in Tayeb Salih's" Mawsim al-hijra ila al-Shamal (Season of Migration to the North). *Research in African Literatures*. Vol. 28, No. 3 (1997). pp. 128-140.

[٥٥] الرواية، ص.ص:١٢١-١٢٢.

[٥٦] Homi. Bhabha., 1998, p.125.

[٥٧] Homi. Bhabha., *Introduction: narrating the nation, in "Nation and Narration*", New York: Routledge and Keegan Paul. 1990. P.1.

[٥٨] Ikram. Masmoudi., "Modern Migration in Two Arabic Novels". *CLWeb*: *Comparative Literature and Culture"*. V. 12, N. 2 (2010). pp:1-8. p. 7.

[٥٩] محمود درويش، "أثر الفراشة"، بيروت: دار العودة، ٢٠٠٨م. ص:٢٧٥.

[٦٠] الرواية، ص: ٢٣.

[٦١] ميخائيل باختين، "شعرية دويستفسكي"، ترجمة: د. جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م، ص:٥٩.
[٦٢] بيل أشكروفت، جاريث جريفيثيز، هيلين تيفين، "الامبراطورية ترد بالكتابة"، مرجع سابق.
[٦٣] السابق.
[٦٤] إدوارد سعيد، "صور المثقف"، مرجع سابق، ص:٤١.
[٦٥] Homi. Bhabha., *The Location of Culture*, Routeldge: London and New York, 1994, p. 7.
[٦٦] Takieddine-Amyuni, 1985, p.35.
[٦٧] الرواية، ص: ١٤.
[٦٨] Masmoudi., 2010, ibid, p.8.
[٦٩] إدوارد سعيد، "صور المثقف"، ص.ص:١٢-١٣.

٨. المراجع:

أولا: المراجع العربية والمترجمة:

إدريس، سهيل، "الحي اللاتيني، بيروت: دار الآداب، ١٩٥٣م.

أشكروفت، بيل، جريفيثيز، جاريث، تيفين، هيلين، "الامبراطورية ترد بالكتابة: أدب ما بعد الاستعمار: النظرية والتطبيق"، ترجمة وتقديم: خيري دومة، عمان: أزمنة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

باختين، ميخائيل، "شعرية دويستفسكي"، ترجمة: د. جميل نصيف التكريتي، دارتوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م.

درويش، محمود، "أثر الفراشة"، بيروت: دار العودة، ٢٠٠٨م.

دومة، خيري، "عدوى الرحيل: موسم الهجرة إلى الشمال ونظرية ما بعد الاستعمار"، الدوحة: دار أزمنة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،٢٠١٠م.

ربوح، بشير، "إدوارد سعيد والفلسفة"، "تبيين" للدراسات الفكرية والثقافية، العدد ١٥- المجلد الرابع- شتاء ٢٠١٦م. ص.ص: ٢٣-٣٨.

سعيد، إدوارد، "الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق"، تر: د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع: القاهرة، ٢٠٠٦م

سعيد، إدوارد، "صور المثقف: محاضرات ريث ١٩٩٣م"، بيروت: دار النهار، ١٩٩٦م.

شاهين، محمد، "آفاق الرواية: البنية والمؤثرات"، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١م.

شاهين، محمد، "تحولات الشوق في موسم الهجرة إلى الشمال"، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م.

صالح، الطيب، رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"، بيروت: دار العودة، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٦٨م.

طرابيشي، جورج، شرق وغرب، رجولة وأنوثة: دراسات في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت١٩٧٩.

عاشور، رضوى، "صيادو الذاكرة"، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠١م.
العروي، عبدالله، "أوراق"، الطبعة الثانية، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م.
علاوشيش، آمال، "خطابات الما بعد: في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية"، إشراف وتقديم علي عبود المحمداوي، مجموعة مؤلفين، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الرباط: ٢٠١٣م.
العيد، يمنى، تملك الوطن ومعادلة الجنس والحضارة (معاناة في التاريخ في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، مجلة الطريق، العددان ٣-٤، بيروت أغسطس١٩٨١.
فانون، فرانز، "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء"، ترجمة: خليل أحمد خليل، بيروت: دار الفارابي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
فانون، فرانز، "معذبو الأرض"، الجزائر عاصمة للثقافة العربية، بحث وتقديم ك. شولي، الجزائر: موفم للنشر، ٢٠٠٧م.
قاسم، سيزا، "تجربة نقدية، موسم الهجرة إلى الشمال"، فصول مج١ ع ٢، القاهرة، ١٩٨١م.
كونراد، جوزيف، رواية "قلب الظلام"، تر: حرب محمد شاهين، دار المصير: دمشق، ٢٠٠٤م.
مدقن، مدقن، "دلالة المكان في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح"، الأثر- مجلة الآداب واللغات- جامعة ورقلة- مايو (٤)، ٢٠٠٥. ص ص: ١٤٠-١٥٦.
منيف، عبدالرحمن، "شرق المتوسط"، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٥م.
ميرغني، هاشم، "الطيب صالح وإشكاليات الخطاب النقدي، مجلة العلوم والتكنولوجيا، مجلة العلوم الإنسانية، ١٣ (١)، ص ص: ٢٤-٤٣.

ثانيا: المراجع الإنجليزية:

Ashcroft, Bill, Gareth Griffiths, and Helen Tiffin., *The Empire Writes Back: Theory and Practice in Post-Colonial Literatures.* London: Routledge. 2ed.2002.
Bhabha, Homi., "Anxiety in the Midst of Difference". *Political and Legal Anthropology Review*, V. 21, N. 1 (1998), pp.123-137.
Bhabha, Homi K., *The Location of Culture*. Routledge, London, 1994.
Bhabha, Homi K.,' Introduction: narrating the nation', in *Nation and Narration*, New York: Routledge and Keegan Paul, 1990.
Badawi, M.M. *Modern Arabic Literature*. Cambridge: Cambridge University Press. 1st edition, 1992.
Santangelo, Byron Caminero., "Legacies of Darkness: "Neocolonism, Joseph Conrad, and Tayeb Salih's "*Season of Migration to the North*".

Ariel: A Review of International English Literature, V.30,N.4 (1999). pp.7-33.

Keishnan, R.S. "Reinscribing Conrad: Tayeb Salih's *Season of Migration to the North*". North Dakota State University. *The International Fiction Review*, 23 (1996), pp.7-15.

Geesey, Patricia. "Cultural Hybridity and Contamination in Tayeb Salih's" Mawsim al-hijra ila al-Shamal (Season of Migration to the North). *Research in African Literatures*. V. 28, N. 3 (1997), pp. 128-140.

Masmoudi, Ikram., "Modern Migration in Two Arabic Novels". *CLWeb: Comparative Literature and Culture*. V. 12, N. 2 (2010), pp.1-8.

Mclnnis, David. "Re-orienting the Gothic Romance: Jean Rhys, Tayeb Salih, and Strategies of Representation in the Postcolonial Gothic". *Ariel: A Review of International English Literature*, Vol 39, No 3, (2008),pp.85-105.

Said, Edward., 'Orientalism reconsidered', in *Europe and Its Others*, edited by Francis Barker, Peter Hulme, Margaret Iversen, and Daiana Loxley, Colchester: University of Essex, 1985.

Said, Edward., *Oreintalism*. London: Routledge. 1978.

Said, Edward., *Representations of The Intellectual*, New York: Vintage Books, 1996.

Takieddine-Amyuni, Mona,. "Images of Arab Women in Midaq Alley by Naguib Mahfouz, and Season of Migration to the North by Tayeb Salih". *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 17, No. 1 (1985), pp. 25-36.